مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيدُ

مِيسُومُ السَّايَحُ "الحَنْصَالِيُّ"

1957 - 1927

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

الشهيد

ميسوم السابح "الحصايي"

1957 - 1927

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2010

ر . د . م . ك : 978-9961-884-89-8

الإيداع القانوني : 2010-4166

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

عِنْدَمَا أوشَكَت السَّنَةُ الدّراسِيَّةُ عَلَى الانْتِهَاء، خَصّصَ أستاذُ مَادّةِ التّاريخ بِالقِسم الّذي كَانَ يَدْرُسُ فيه عَبدُ القادر عَدَدًا مِنْ حِصَصِه للمراجَعَة؛ وَقُبَيْلَ الخُرُوج إِلَى العُطْلَة الصّيْفِيَّة قَالَ لِتَلاَميذه: في كُلّ عَام تُحْيِي مَدِينَةُ الغَزَوات ذِكْرَى اسْتِشْهَاد «الرَّائِد الحَنْصَالي»، أَثْنَاءَ العُطْلَة؛ وفي هَذَا العام تُحْيِي ذِكْرَاهُ الخَمْسين؛ لِذَلكَ أَطْلبُ منكُمُ المُشَارَكَةَ في إِحْيَائِهَا بِالقِسم قَبْلَ الخُرُوج إِلَى العُطْلة، وَعَلَى التَّلاَميذ الذين حَصَلُوا عَلَى أَعْلَى العَلاَمات في مَادّة التّاريخ أَنْ يَجْمَعُوا مَا يَسْتَطِيعُونَ جَمْعَه مِنْ مَعْلُومَات حَوْل سِيرته مِنْ أَفْرَاد عَائِلَته الّذينَ لاَ يَزَالُونَ عَلَى قَيْد الحَيَاة، وَمِنَ المُجَاهِدِين، للاطِّلاَع عَلَيْهَا.

مَا كَادَ الأسْتَاذُ يُنْهِي جُمْلَتُه الأخِيرَةَ حَتَّى

الْتَفَتَ عَبْدُ الله إِلَى زَمِيلِه عَبْدِ القَادر، والْتَفَتَتْ صَفِيَّةُ إِلَى زَمِيلتهَا نَجِيّةَ؛ لأنّهم هُمُ الذين حَصَلُوا عَلَى أَعْلَى العَلاَمَاتِ فِي مَادَّةِ التَّارِيخ.

لَمْ يَكنْ لَهم بُدٌّ مِنْ تَلْبِيَةِ طَلَبِ الأسْتَاذ، رَغْمَ أنّ الطّلبَ جَاءَ فِي نِهَايةِ السَّنةِ الدّرَاسِيَّةِ الحَافِلَةِ بالبَحْثِ والمُرَاجَعَةِ والحِفْظ.

بَذَلَ هَؤُلاَءِ التَّلاَميذُ أَقْصَى مَا كَانَ فِي وُسْعِهم لِجَمْعِ المَعلُومَاتِ التّاريخيّة؛ واضْطُرَّ عَبْدُ القَادِرِ في نِهَايَةِ ذَلِكَ الأسْبُوعِ أَن يَزُورَ جَدَّهُ المُجَاهِدَ في قَرْيةٍ تَقَعُ خَارِجَ مَدِينَةِ الغَزَوَاتِ.

فَرِحَ الجَدّ به كَثيرًا عِنْدَمَا أَخْبَرَهُ بِسَبَبِ الزِّيَارةِ، وَجَلَسَ مَعَه وَقْتًا طَوِيلاً لِلْحَدِيثِ عَن سِيرَةِ الشّهيدِ، فَسَجَّلَ مَعْلُومَاتٍ كَثيرة.

وَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُ اللّقاءِ مَعَ الأسْتَاذِ كَانَ التَّلاميذُ عَلَى استعدادٍ للمُشَارَكَةِ في إِحْيَاءِ ذِكرَى اسْتِشهَادِ «الرّائدِ الحَنْصَالِي».

في بِدَايةِ الأمْرِ طَلَبَ الأسْتَاذُ من التَّلاَميذِ الأرْبَعَةِ أَنْ يَصْعَدُوا إِلَى المِصْطَبَةِ لِلْجُلوسِ خَلْفَ مَكْتَبِهِ، وَجَلَسَ هُوَ مَعَ بَقِيَّةِ زُمَلائِهِم.

ثُمّ قال: اسْمَحُوا لِي بِطرحِ السُّؤالِ الأوّلِ: مَاذا جَمَعتُم مِنْ مَعْلُومَاتٍ حَوْلَ نَشْأَتِهِ؟

أَرَادَ كلُّ واحدٍ مِنْهُم أن يُجيبَ عَنْ سؤالِهِ، فَاخْتَارَ «نَجِيّةَ» لِلإجَابةِ، فَقَالَتْ: وُلِدَ ميْسُومُ السَّايَحِ في 05 أفريل عام 1927 بِقَرْيَةِ الصُّفْرَةِ الوَاقِعَةِ بالسَّوَاحْلِيّة بِالقُرْبِ مِن مَدِينَةِ الغَزَوَاتِ.

حَفِظَ القُرْآنَ الكَرِيمَ، وَتَعلّم مَبَادئَ اللُّغَةِ العَرَبِيّة بكتَّابِ القَريةِ الّتي وُلِدَ فِيهَا، وَلَمْ يَتَسَنَّ لَهُ الدّخُولُ إِلَى المَدْرَسَةِ؛ لأَنَّهَا لَمْ تكن مَوْجُودةً في تِلك القَرْيَةِ حِينئذٍ.

ثُمَّ سَأَلَ التلميذُ عُمرُ: مَا هِيَ الأَعْمَالُ الّتي مَارَسَهَا فِي شَبَابِهِ؟

عَبدُ الله: مَارَسَ النّشَاطَ الفلاَحِيَّ البَسِيطَ؛ لأَنّهُ النّشَاطُ الوَحِيدُ الّذي تَيسَّرَ لَهُ في ذَلِكَ العَهْدِ.

نَجْوى: هَلْ مَارَسَ النَّشاطَ السّياسيّ؟

تَدَخَّل الأستاذ وَقَالَ: عِنْدَمَا ارتكبتْ فَرَنْسَا مَجَازِرَ بَشِعَةً في حَقِّ الجَزَائِريّين الّذينَ خَرَجُوا في مُظَاهَرَاتٍ سِلْمِيّةٍ في 08 ماي 1945 كَانَ ميْسُوم السّايَح «قَدْ بَلَغَ عَامَه الثّامِنَ عَشَر». فَكَانَ هَذَا الحَدَثُ نُقْطَةَ تحوّلٍ في حَيَاتِه. بَعْدَ هَذَا الحَدَثِ المُؤلِم انْخَرَطَ فِي حَرَكَةِ الانْتِصارِ للحريّاتِ الدّيمقرَاطِيةِ، الّتي أَنْشَأَهَا مُنَاضِلُو حِزْبِ الشّعب، الذي مَنَعَت السّلطاتُ الفَرَنْسيّةُ نَشَاطَهُ عَشِيّةَ انْدِلاَعِ الحَرْبِ العَالمِيةِ الثَانية عام 1939.

عَقِيلَة: لِمَاذَا أُسِّسَ حِزْبُ الشَّعْبِ؟

الأسْتَاذُ: أُسِّسَ حِزْبُ الشَّعْبِ من أَجْلِ نَشْرِ الوَعْيِ السِيَّاسِي بَيْنَ المُواطِنِينَ وتَهْيئَتِهِم لِمُقَاوَمَةِ الاسْتِعْمَارِ.

مُصْطَفَى: مَا هُوَ النَّشَاطُ الذي مَارَسَهُ الخَنْصَالِي حِينَ انْخَرَطَ فِي حَرَكَةِ الانْتِصَارِ التي أَسَّسَهَا المُنَاضِلُونَ بَعْدَ أَنْ حُلَّ حِزْبُ الشَّعْب؟

عبد الله: قَامَ الخَنْصَالِي بِدَوْرٍ كَبِيرٍ فِي تَوْعِيَةِ الشَّبَابِ وَتَعْبِئَتِهِم اسْتِعْدَادًا لِلْكِفَاحِ المُسَلَّحِ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ عَنِ النِّضَالِ حَتَّى عِنْدَمَا هَاجَرَ إِلَى فَرَنْسَا بَحْثًا عَنِ العَمَلِ، وَبِسَبَبِ نَشَاطِهِ السِّيَاسِيِّ كَانَ البُولِيسُ يُرَاقِبُ تَحَرُّكَاتِهِ عَلَى التُّرَابِ الفَرَنْسِي.

فَارُوق: كَيفَ شَارَكَ «ميْسُومُ السّايح» في الإعدادِ للكفَاحِ المُسَلَّحِ؟

عَبْدُ القادر: قَامَ بِدَوْرٍ كَبِيرٍ فِي تَعْبِئَةِ المُنَاضِلِين، وَفَتَحَ بَابَ بَيْتِهِ لِمَنَاضِلِي «المُنَظَّمَةِ الخَاصَّةِ» الذِينَ كَانَ العَدُوّ يُطَارِدُهم.

فاروق: مَا هِي هَذِهِ المُنَظَّمَةُ الخَاصَّةِ؟

تَدَخَّلَ الأُسْتَاذُ مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالَ: هِيَ تنظِيمٌ

أَنْشَأَهُ مُنَاضِلُو حَرَكَة الانْتصَار للحُرِّيَّات الديمُقْرَاطية في عام 1947 ليتَولَّى مَهمَّةَ الإعْدَاد المادّي والمَعنَويِّ لِمَرْحَلَة الكفاح المُسَلَّح، بَعد فَشَل المقَاوَمة السّياسيّة مَعَ العدوِّ الفَرَنسيِّ، الذي اقْتَنَع بِفَشَله مُعظَمُ الجَزَائريّين بَعْدَ مَجَازر 8 ماي 1945. وَلَمَّا اكْتَشَفَ العدوُّ التّنظيمَ الخَاص في عام 1950 اعْتَقَلَ الكَثيرَ مِنْ أَعْضَائه، فاضْطُرَّ النّاجونَ منهم إلَى تَغْيير مَوَاقع نَشَاطِهم، وَأَطْلَقُوا عَلَى أَنْفسهم أسماءً مَسْتَعَارَةً، منهم عبدُ الحَفيظ بُوالصّوف والعَرْبي بن مهيدي اللَّذَان انْتَقَلا مِنَ الجهة الشّرْقية إلَى الجهة الغَربيَّة مِنَ الوطن؛ وَفي هَذه الفترة أُطْلِقَ عَلَى ميسُوم السَّايح اسم «الحَنْصَالي».

بَعْدَ هَذَا التّوضيح مِنَ الأستاذ أَكْمَلَ عبدُ القادر جَوَابه بقَوْله: شَارَكَ «الحَنْصَالي» في جَمْع الأسْلحَة والذَّخيرَة، وَتَخْزينهَا في مَطْمُورَات تَحْتَ الأرْض، وَعَبَرَ عدَّةَ مَرّات الحُدُودَ الغربيّةَ لاسْتلاَم السِّلاَحِ الّذي كَانَ قَادةُ الثَّوْرة بِالخَارِج يُرْسِلُونه إلَى

قَادَتِها دَاخِلَ التُّرَابِ الوَطَنيّ.

طَارق: مَا هِيَ العمليّاتُ الّتي شَارَكَ فِيهَا الحَنْصَالي بَعْدَ انْدِلاَع الثَّوْرَةِ؟

تَدَخَّلَ الأستاذُ مَرَّةً أُخْرَى للإجَابَة عَن سُؤال طارق فَقَالَ: كَانَ القِطَاعُ الوَهْرَانِيُّ (المَنْطَقَةُ الخَامسَةُ) يَفْتَقِدُ إِلَى السِّلاَح والذَّخيرَة عَشيَةَ انْدِلاَع الثَّوْرَة. وَفِي عَام 1955 دَخَلَت كَمِّيةٌ منه عَلَى مَتْنِ سَفينَة تَحْمِلُ اسْم «دِينَا عبد الحميد» من الأردن؛ وَكَانَ مِنْ ضِمْنِ رُكَّابِهَا الرَئيسُ الرَّاحِلُ هُوَارِي بُومَدْين.

شَارَكَ الحَنْصَالِي فِي نَقْلِ السِّلاَح والذَخيرَة مِنَ الأَرَاضِي المَغْربيّة إِلَى المَنْطَقَة الخَامسَة لتَوزِيعه عَلَى المُجَاهِدِينَ، فَلَمَّا عَلِمَ العَدوُّ بِدُخُولِ السّلاَحِ شَرَعَ فِي البَحْثِ عَنْهُ.

عمر: هَلْ اتُّهِمَ الحَنْصَالِي بِالمُشَارَكَة في ذَلِكَ؟

عَبْد القادر: اتُّهِمَ بالمُشَارَكَةِ فِي نَقْلِ السِّلاَحِ،

فَلَمَّا أَنْكَرَ عَلاَقَتَه بِه اعْتُقِلَ وَسُلِّطَ عَلَيهِ عَذَابٌ شَدِيدٌ، تَخَلَّصَ مِنه بِأُعْجُوبَةٍ.

عمر: كَيْفَ تَخَلَّصَ مِنْهُ؟

عبد القادر: حِينَ كَانَ مُعَلّقًا مِنْ رِجْلَيْه فِي سَقْفِ كُوخٍ مِنَ القَصْدِيرِ لِمُدّةِ 24 سَاعَةً، فَكّرَ فِي الفِرَارِ، فَلَمَّا أَنْزَلُوهُ إِلَى الأَرضِ وَقَيّدوهُ مِنْ رِجْلَيْه، وَذَهَبُوا لِتَنَاوُلِ الغَدَاءِ، فَكَّ قُيُودَه، وَخَرَجَ مِن نافِذةٍ صَغِيرَةٍ فِي الحَائِطِ الخَلّفِي لِلْكُوخِ، فِي غَفْلَةٍ مِن الحُرّاسِ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الشَّاطِئِ. فَلَمَّا ابْتَعَدَ عَنِ المَرْكَزِ الذي كَانَ يُعذَّبُ فِيه (مَركَزِ طُونَانَ)، اخْتَفَى فِي مَكَانٍ لَمْ يَسْتَطِعِ العدوُّ الوُصُولَ إِلَيْه رَغْمَ اسْتِعَانَتِه بِالكِلاَبِ المدرّبَةِ، فَلَمَّا هَدَأَ البَحْثُ عَنْه انْتَقَلَ مِنْ مَكَانِه إِلَى مَنْزِلِ أَحَدِ أَصْدِقَائِه الوَاقِعِ بِتِلْكَ الجِهَةِ لِيُسَاعِدَه عَلَى الفِرَارِ، وَإِيصَالِه إِلَى الجَبَلِ.

مُصطفى: مَاذَا فَعَلَ بَعْدَ ذَلِك؟

عبد الله: الْتَحَقَ بِإِخْوَانِه المُجَاهِدين لِتَنْفِيذِ

العَمليّاتِ العَسْكَرِيَّةِ بِاسْتِعمالِ السّلاحِ الذي دَخَلَ عَبْرَ سَفِينَةِ (دِينَا).

مصطفى: وَمَا هِيَ العَمليّاتُ التي شَارَكَ فِيهَا؟

عبد الله: شَارَكَ فِي عِدَّة عَمَليّات، أَشْهَرُهَا الهُجومُ عَلى مَرْكَزٍ عَسْكَرِيٍّ للعدوِّ يُسَمّى «مَركزَ الصّبانَة» يَقَعُ بِالقُرْبِ مِنْ «امْسِيردةَ»؛ أَسْفَرَ الهُجُومُ عَنْ تَدْمِيرِ المَرْكَزِ، وَقَتْلِ عَدَدٍ مِنْ عَسَاكِرِه، وَالاسْتِيلاءِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مُحْتَوَيَاتِه. كَانَ لِهَذِه العَمَلِيّةِ صَدىً وَاسِعٌ فِي أَوْسَاطِ العدوِّ، وَخَابَ ظَنُّهُ فِي هُدُوءِ المَنْطَقَةِ الخَامِسَةِ.

سمير: مَا هِي آخِرُ الرُّتَبِ العَسْكَرِيَّةِ التي وَصَلَ إِلَيهَا؟

عبد الله: بَعْدَ مُؤتَمَرِ الصّومَام (20 أوت 1956) تَمّتَ تَرْقِيتُه إِلَى رُتْبَة «رَائد» في جَيشِ التَحريرِ الوَطَنِي، أَهَّلَتْه هَذِهِ التّرقيةُ لِيَكونَ عُضْوًا فِي مَجْلِسِ الوِلايَةِ الخَامِسَةِ.

طَارق: أَلَم يَقُل الأسْتَاذُ قَبل قَليل: المْنطقة الخامسة، وَكَذَلِكَ الزَّمِيلُ عبدُ الله بَعْدَه؟

الأستاذ: قَبْلَ المُؤتمر كَانَتْ تُسَّمى المِنْطَقةَ، وَبَعْدَهُ أَصْبَحَتْ تُسَمَّى الولاَيَة.

نَجْوى: مَتَى اسْتُشهِدَ الرائدُ الخَنْصَالِي؟

عبد القادر: فِي لَيلة 27 مِنْ شَهْر جويلية عام 1957، وَشَى أَحدُ الخَوَنة لَدَى العَدوِّ بِمَجْمُوعَة مِنَ المُجاهدينَ، بَاتَتْ تلْكَ اللّيلةَ في دَوّارِ «أولاد يَعْقُوب» فَباغَتَهم العدُوُّ فِي جَوفِ اللّيلِ بقُوّات كَبيرة مُدَعّمة بالدّبّابات والسّيارات المُصَفّحَة، استَعْمَل خِلاَلَ الهجوم الأَضْواءَ الكَاشفَةَ، فَلَمَّا عَلِمَ المجاهِدُونَ بِقدومِ العَدوِّ، اضْطُرُّوا إِلَى عُبُورِ خَطّ المَوْت.

نجوى: مَاذَا تَقصِد بِخَطّ الموتِ؟

تَدَخَّلَ الأستاذ مَرّةً أُخْرَى، وَقَالَ: خَطُّ الموتِ هُوَ

خّط «مُوريس» الشّائك الذي أَشْرَفَ عَلَى وَضْعِه وَزِير الدفّاع الفرنسي بَعْدَ انْدلاع الثّورة «أَنْدَري مُوريس» لِيَفْصِلَ قَادَةَ الثّورة وَجُنُودَها الذين كَانُوا خَارِجَ التّرابِ الوَطنيّ عَنْ قَادَتِهَا الذين كَانُوا يَعيشون دَاخِلَ الوطن. وَزُرِعَ حَول الخَطّ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنْ الأَلْغَام المُضَادّة للأشْخَاص. وَفي عَام 1957 دُعِّمَ خَطُّ «مُوريس» بِخَطّ آخَرَ سُمِّيَ بِاسْم القائد العامِّ للقُوّات الفَرَنْسية «مُوريس شَال»؛ أَحْكَمَ بِهما العَدُوُّ غَلْقَ الحُدودِ لِمَنْع السّلاح من الدّخول، وَكَذَلِكَ لِمَنْع اتّصَالِ قَادَةِ الثَّورَةِ بِالخَارِجِ بِقَادِتِهَا في الدَاخل.

بَعْدَ هَذَا التّوضيح وَاصَلَ عبدُ القادر جَوَابه عَنْ سُؤالِ نَجْوَى بِقَولِه:

أَثْنَاء اقْتِرَاب المجاهدين من خَطِّ «مُوريس» انْفَجَرَ لَغمٌ في مُجَاهد كَانَ يَسيرُ بالقُرْبِ مِنَ الرَّائِد الحنصالي، فاسْتُشْهِدَ الاِثْنَانِ مَعًا.

تَأَثَّرَ الجَميع لِهَذِهِ النّهايةِ رَغْمَ أنَّهَا كَانت نِهَايةً مُشَرِّفةً، وَشَكَرُوا الأُستَاذَ عَلَى مُبَادَرَتِه، وتَمَنّوا أن تُتَاحَ لَهُمْ فُرَصٌ أُخْرَى لإحْيَاءِ ذِكَرياتِ اسْتِشْهَادِ أبْطَالٍ آخَرين.

أمّا الأسْتَاذُ فَشَكَرَ أَعْضَاءَ الفَوْجِ، وَخَصَّ بالشكرِ عَبدَ القادرِ، لأنَّ مَعلوماتِهِ عن الشّهيد كَانَتْ أغْزَرَ، وَخَتَم الحِصّة بِقوله:

بَذلَ الشّهيدُ الرائدُ الخَنْصَالِي تَضْحياتٍ كَبيرةً مِنْ أجْلِ تَحْرِيرِ وَطَنه من الاسْتِعمَارِ الفرنْسي، كَتَبَ بِهَا اسْمَه فِي سِجِلِّ الخَالِدين.

المَجْدُ وَالخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ